الإستشهاد بألفاظ ومفردات القرآن الكريم في الكلام المنثور لابن المجاور البغدادي النيسابوري ، في كتابه : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر.

أ.د. محمد كريم إبراهيم الشمري
عميد كلية الآداب / جامعةالقادسية

الخلاصة :

يهدف هذا البحث الى توضيح أسلوب متميز وفريد من أساليب الكتابة والتأليف في تراثنا العربي – الاسلامي ، التي انفرد بها كتاب :صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة: (تاريخ المستبصر) ، لإبن المجاور البغدادي النيسابوري ، المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، وهو إدخال ألفاظ ومفردات من القرآن الكريم في الكلام النثري ، عند عرض الحكايات والروايات والقصص والأخبار التي سجلها في كتابه ، سواء تلك المنقولة من المصادر وأفواه الرواة والمُحدثين ، او ربما أن ابن المجاور هو الذي أدخل تلك الألفاظ والمفردات القرآنية في صياغته لتلك الحكايات والروايات والقصص عند توثيقها وتدوينها، وهي عموماً تمثل لوناً من ألوان الكتابة النثرية التي تأثرت بألفاظ ومفردات القرآن الكريم ،فضلاً عن الإقتباس منه؛ بهدف العبرة والدرس والموعظة ، انطلاقاً من قوله تعالى : ((لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) يوسف / ١١١ . صدق الله العلي العظيم

المقدمة :

يُنسب تأليف كتاب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر، خطأً الى جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي المتوفى عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م ، والمرجح ان مؤلفه الصحيح هو: أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري ، المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م .

يزخر كتاب تاريخ المستبصر بثروة علمية متنوعة ، لغوية وأدبية واقتصادية واجتماعية ، تدل على ثقافة مؤلفه الواسعة وبُعد نظره وطول باعه ، من خلال تنوع معلوماته وغزارتها وتوزيعها على معلومات تاريخية وجغرافية وأثنوغرافية واقتصادية ، فضلاً عن رصده كثيراً من ظواهر الحياة المتنوعة في بلاد اليمن خصوصاً، وبلاد الحجازوالهند والديبول وجاوة وغيرها من البلدان التي زارها وسجّل لنا ملاحظاته عنها ، فكان شاهد عيان معاصر مدققاً لكثير من شؤون الحياة ، ونستدل من ذلك انه كان تاجراً يمتلك مركباً بحرياً ، طاف كثيراً من البلدان وزودنا بمعلومات وافية عنها ، وسجل لنا رواته ومحدثيه وأماكن لقاءاته بهم في متن كتابه .

يعد هذا الكتاب مصدراً مهماً عن تاريخ اليمن والحجاز ، فيه معلومات تاريخية متناثرة ذات قيمة كبيرة عن تاريخ تلك البلاد وملوكها وأمرائها وقادتها ، خصوصاً الأيوبيين المتأخرين في اليمن وأوائل حكم الرسوليين وشرفاء مكة من بني قتادة ، وتعود أهميته الى ملاحظاته المباشرة عن الحياة العامة ، فقد تناول بغزارة التفاصيل المتعلقة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية ، من عادات الزواج وشؤون الرقيق والمقاييس والنقود والملابس والضرائب الكمركية .

اهتم المؤلف بمدينة عدن اهتماماً خاصاً ومتميزاً ، فقد خصص لها أكثر من خُمس كتابه ، وأفرد لها خارطة خاصة عن طبوغرافيتها وأبرز معالمها ، وتحدث بتفاصيل نادرة وبوضوح عن نشاطها التجاري ومعاملاتها الاقتصادية ، وسجل لنا روايات وأساطير محلية خاصة بالمناطق التي زارها ، وتحدث عن أخلاق سكانها وعاداتهم وتقاليدهم .

لقد أولينا هذا الكتاب عناية وإهتماماً خاصاً ، منذ أن تفرغنا لدراسة التاريخ السياسي والاقتصادي لمدينة عدن وميناءها ، في مرحلة الإعداد لأطروحة الدكتوراه في قسم التاريخ بكلية الاداب / جامعة بغداد عام ١٩٧٨م والى الآن ، ووجهنا – في أكثر من مناسبة – دعوة مخلصة وصادقة الى أبناء اليمن وغيرهم من أبناء العروبة المهتمين بدراسة تاريخ بلاد اليمن وتراثها من المؤرخين والمثقفين وهواة البحث العلمي ، الى إعادة تحقيق ونشر هذا الكتاب تحقيقاً علمياً رصيناً نظيفاً خالياً من الأخطاء العلمية واللغوية والطباعية ، مع دراسة كاملة عن مؤلفه الحقيقي وتثبيته على غلاف كتابه : (تاريخ المستبصر) ، ونعني به : ابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م – كما ذكرنا .

وبمناسبة نشر هذا البحث العلمي عن كتاب تاريخ المستبصر ، لايسعنا إلا ان نجددتلك الدعوة المخلصة الصادقة حول إعادة تحقيق ونشر هذا الكتاب التراثي المهم ، لإعادة الاعتبار الى مؤلفه الحقيقي ابن المجاور البغدادي النيسابوري من خلال دراسة حياته دراسة علمية وموضوعية ، وتجدرالإشارة الى أننا ركزنا اهتمامنا العلمي الشديد المتواصل والمتكرر والمستمر على تحديد شخصية مؤلفه الحقيقي ، من خلال عدة أنشطة علمية انجزناها منذ أيام تتلمذنا لإنجاز أطروحة الدكتوراه عن عدن والى الآن ، وذلك من خلال الآتي :

١- اطروحة الدكتوراه التي قدمناها الى المجلس العلمي لكلية الاداب / جامعة بغداد ، وقد أنجزت وقدِّمت إلى قسم التاريخ عام ١٤٠١هـ /١٩٨١م ، بعنوان : عدن / دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية ٤٧٦-٦٢٧هـ / ١٠٨٣-١٢٢٩م ، على الصفحات : ٥١-٥٤(المقدمة - تحليل المصادروالمراجع)، ونوقشت بتاريخ ١٩٨١/١٠/٦م، بتقدير : جيد جداً .

٢- تم اعادة نشر هذا الموضوع بعد طبع الاطروحة في كتاب ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي / جامعة البصرة ، الطبعة الاولى ، (البصرة ،١٩٨٥م) ، ص ٣٥- ٣٧ (المقدمة – تحليل المصادر) .

* أعيد طبع الكتاب في جامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية ، (عدن،٢٠٠٤م) ، ص ٤٢-٤٣ .

٣- بحث بعنوان : ((أضواء على مؤلف كتاب : صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر)) ، مجلة الخليج العربي ، المجلد (٢٣) ، العدد (١-٢) ، إصدار مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، (البصرة ،١٩٩١م) ، ص ١١٥-١٣٨ .

٤- محاضرة علمية قدمتها إلى أساتذة قسم التاريخ والآثار في كلية الآداب / جامعة عدن ، وهي المحاضرة الاولى في افتتاح الموسم الثقافي للقسم ، وذلك صباح يوم الاثنين ٢٠٠٢/١/٧م ، بعنوان : ((مصادر عن تاريخ اليمن الاسلامي منسوبة خطأً الى مؤرخين آخرين/ ثلاثة نماذج لإشكالية منهجية علمية)) ، وكان تاريخ المستبصر المصدر الاول ضمن المحاضرة .

٥- بحث بعنوان : ((رحلة مع أشعار : الغربة والحنين الى الأوطان والتغني بالمنازل والديار والخِلان في كتاب : تاريخ المستبصر لإبن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)) ، مجلة التواصل ،العدد (٨) ، إصدار : نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، يوليو ٢٠٠٢ م) ، ص ١٩-٢٥ وهوامشها ص ٤٨-٥١، [البحث كاملاً ص ١٩-٥٥].

٦- بحث بعنوان : ((أشعار الحكم والمواعِظ والعِبَر والدروس في كتاب : صفة بلاد اليمن ٠٠٠ (تاريخ المستبصر) لإبن المجاور البغدادي النيسابوري)) ، مجلة التواصل ، العدد (١٠) ، (عدن ، يوليو٢٠٠٣م) ، ص ٦٣، [البحث كاملاً ص ٦٣-٨٩] .

٧- بحث بعنوان : ((مأثور الكلام العربي في كتاب : صفة بلاد اليمن ٠٠٠(تاريخ المستبصر)لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ /١٢٢٨م)) ، مجلة اليمن ، العدد (٢٠)، إصدار : مركز البحوث والدراسات اليمنية / جامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، شوال ١٤٢٥هـ / نوفمبر ٢٠٠٤م) ، ص ٢٣٥-٢٣٦ ، [البحث كاملاً ص ٢٣٥-٢٥٦] .

٨- اعتمدنا تسمية المؤلف الحقيقي لكتاب : تاريخ المستبصر وهو : ابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م، في كافة مؤلفاتنا وبحوثنا المنشورة عن تاريخ وتراث مدينة عدن وميناءها خصوصاً وبلاد اليمن عموماً ، منذ عام ١٩٨٥م والى يومنا هذا .

سيكون منهجنا في هذا البحث ذكرالنصوص التي وردت فيها ألفاظ ومفردات من القرآن الكريم في الكلام المنثور لابن المجاور البغدادي النيسابوري ، من خلال حديثه أو روايته حكاية أو قصة أو حادثة ما ، وسنقوم بتخريج الآية القرآنية كاملة التي تضمنت المفردة واللفظ القرآني الوارد في كلام ابن المجاوروتوثيقها في المتن أو الهامش ، وعرض تلك الحكايات والقصص والروايات وفق تسلسل ذكرها في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) ، على شكل فقرات مرقمة بالتسلسل .

(١)

قال ابن المجاور (١) في افتتاح كتابه – بعد البسملة- : ((الحمد لله الذي رفع السماء عبرة للناظرين ، وبسط الأرض وجعل فيها آيات للموقنين ، وأودع في اختلاف الألسن والألوان ، باختلاف الأقاليم والبلدان ، بصائر المستبصرين)) .

بدأ ابن المجاور مقدمة كتابه البليغة هذه بحمد الله والثناء عليه ، وضَمّنها آيات مباركات من القرآن الكريم ، توحي باختيار عنوان كتابه : تاريخ المستبصر ، ففي النص : رفع السماء عبرة للناظرين ، مصداق لقوله تعالى في كتابه العزيز ، بسم الله الرحمن الرحيم : ((أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها)) (٢) ، وقوله : ((والسماء رفعها ووضع الميزان))(٣) ، وقوله : ((ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين))(٤) ، وفي قول ابن المجاور – عن الارض- : ((وجعل فيها آيات للموقنين))، مصداقاً لقوله تعالى : ((وفي الأرض آيات للموقنين)) (٥) .

أما قول ابن المجاور : ((وأودع في اختلاف الألسن والألوان ، باختلاف الأقاليم والبلدان ، بصائر المستبصرين)) ، فهو الهدف من اختيار عنوان كتابه : تاريخ المستبصر ، تأسياً بقوله تعالى في العديد من الآيات القرآنية الكريمة ، حول لفظ ومصطلح ومعنى المستبصر ومفرداتها ، مثل : الأبصار ، والبصائر ، من ذلك قوله عز وجل : ((لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، قد جاءكم بصائر من ربكم ٠٠٠)) (٦) ، وقوله تعالى : ((٠٠٠ وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين)) (٧) ووردت كلمة (بصائر) في العديد من الآيات القرآنية الكريمة (٨) ، مما يوضح ان المؤلف استوحى فكرة تحديد عنوان كتابه مما ورد في القرآن الكريم حول مفردة المستبصر ، وجمعها : المستبصرين ، أي أصحاب العقول والادراك والفهم ، فضلاً عن مشتقات ومرادفات هذه المفردة – كما ذكرنا ، مثل : الأبصار ، البصائر ٠٠٠لذلك ضمَّنَ ابن المجاور مقدمته عدة ألفاظ ومفردات من القرآن الكريم ، كما يتضح جلياً من تخريجنا لها في الآيات القرآنية الكريمة .

(٢)

في حديث ابن المجاور (٩) عن اشتقاق اسم مكة ، ذكرأن مكة سميت بهذا الاسم لأربعة أقوال ، أحدها أنها مسافة يأتوها الناس من كل فج عميق ، فكأنها هي التي تجذبهم إليها .

وفي قول ابن المجاور حول اشتقاق إسم مكة تضمين لما ورد عنها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ((وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)) (١٠) ، ومازال الناس – الى يومنا هذا- يأتون الى مكة لأداء فريضة الحج ، فضلاً عن العمرة ، من كل أصقاع الأرض القريبة منها والبعيدة عنها ، كأنها عامل جذب واستقطاب لهم الى هذه الأرض المقدسة ، وهي ظاهرة خير مستمرة طوال أيام العام .

(٣)

تحدث ابن المجاور (١١) عن قصة حياة قسي بن منبه ، الذي اشتهر فيما بعد باسم : ثقيف ، واقترن اسمه ببناء مدينة الطائف ، مشيراً الى افتراقه عن النخع ، وهما رجُلان من قبيلة إياد بن نزار ، فاتجه ثقيف الى موضع قريب من الطائف ونزل فيه ، فاذا هو بجارية حبشية ترعى مائة شاة لمولاها ، فأسَرَّ طمعاً فيها ، أي أضمر (أخفى) أمراً تجاهها في داخله ، وقال : أقتلها وآخذ الغنم ، ويبدو أن الجارية أدركت نواياه تجاهها ، فقالت له : ((ياهذا كأنك طمعت نفسك أن تقتلني وتأخذ غنمي)) ، لذا حذرته الجارية من مغبة عمله هذا ونصحته بالذهاب الى مولاها عامر بن الظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر ، وهو سيد ذلك الوادي ، وطلب المساعدة منه ، وفعلاً ذهب ذلك الرجل إليه فأكرمه وزوّجه من ابنته ، فولدت له: عوف ودارس وسلامة وأقام بالطائف وغرس الكرم (العنب) ، وبنى المكان الذي سمي : الطائف ؛ لأنه طاف البلاد وسكن فيها .

ان عبارة ابن المجاور التي وردت في هذه القصة : ((فأسرَّ طمعاً فيها)) ، مستوحاة من ألفاظ ومفردات القرآن الكريم ، منها قوله تعالى : ((قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم)) (١٢) ، وقال عزوجل : ((سواء منكم من أسَرَّ القول ومن جهر به))(١٣) ، فضلاً عن ورود هذه اللفظة في آيات قرآنية عديدة ، ومعناها : أخفى وستر وأضمر في نفسه سراً (١٤) .

(٤)

ذكر ابن المجاور (١٥) أن السرو قبائل وأفخاذ من العرب لايحكمهم سلطان بل مشائخ منهم ، وهم بطون متفرقون ، فإذا خرج أحدهم الى سفر أتت المرأة الى عند المخلف أي عشيقها ، يحاضنها الى أن يرجع زوجها ، فاذا اقترب المسافر من منزله نادى بأعلى صوته : ((أيها المخلف اللجوج ، فقد حان وقت الخروج !ويدخل المسكن غفلة فإن وجده في المسكن قتله وإن كان قدخرج فقد عفا الله عما سلف)).

لعل ابن المجاور بالغَ في وصف هذه الحالة غير المقبولة لدى قبائل العرب ، فذكرأن عشيق المرأة باستطاعته تخليص نفسه من القتل المحتوم ، اذا خرج من بيت عشيقته قبل وصول زوجها ودخوله البيت ورؤيته فيه! ، مختتماً هذه الحكاية بتضمين من القرآن الكريم ورد في قوله تعالى : ((عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام)) (١٦) ، أي أن العفو وعدم المحاسبة ينطبق على مامضى وجرى دون وجود الدليل عليه ، والسلف هو الماضي في حياة الناس من البشر ، وفي كل أمر مضى عليه الزمن ، وقد ورد ذكر هذه المفردة في عدة آيات قرآنية كريمة (١٧) .

(٥)

تحدث ابن المجاور (١٨) عن سيوف الصواعق ، فذكر انها ثلاثة وقيل سبعة ، وقال آخرون بل هي أربعة عشر سيفاً ، ضُربت أيام يافث بن نوح (ع) ، وأسهب في وصف تلك السيوف ، ثم تحدث عن أشهر أنواعها وهي اربعة أصناف : الصنعاني ويضرب في صنعاء ، وهو متقدم قصير لأنه سيف الرجّالة ، والكرماني قديم ضُرب أيام دولة ملوك العجم في كرمان ، والإفرنجي سيف طويل ؛ يُطولونه

لأجل الفُرسان ، والهندي منه عدة أصناف ، قال ابن المجاور (١٩) : ((وأما السيوف في العالم فكثيرة الأصناف وتضرب في كل بلد وإقليم إلا هذه الأربعة الأصناف الذين ارتفعوا دون غيرهم وعرفوا من بين جنسهم ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)) .

عدَّ ابن المجاور هذه السيوف الأربعة : (الصنعاني والكرماني والافرنجي والهندي) من أرقى سيوف العالم وأعلاها درجة أي مرتبة متقدمة ، نظراً لما اشتهرت به من جودة الأداء وحُسن الصناعة ، فكانت مستوياتها متقدمة على مثيلاتها الاخرى من السيوف ، وعرفت بين صنف تلك السيوف بقيمتها العليا وكثرة الطلب عليها ، مضمناً هذا الموضوع اقتباساً مماورد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ((أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسّمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون))(٢٠) ، والدرجة هنا تعني مرتبة تفضيل شيء على شيء آخر ، كما هو الحال بالنسبة الى الرسل ، فضلاً عن أمور أخرى في الحياة ، كما ذكر ابن المجاور هنا أنواع السيوف ومراتبها وأصنافها ودرجاتها ، التي تميزت بارتفاع أي علووتفضيل بعضها على بعض ، وقد وردت اشارات واضحة عن هذه الامور في العديد من الآيات القرآنية الكريمة (٢١) .

(٦)

ذكر ابن المجاور (٢٢) انه وُجد في مدينة زبيد باليمن سطر مكتوب : بَدّلنا حمل دُرْ بحمل بُر (قمح) ومامسنا ضُر والله المستعان ، ووُجِدَ مكتوب أيضاً في مدينة أبي سيار من أعمال حران : طلبنا البُر بالدر فما وجدناه.

أشار ابن المجاور الى الاطلاع على كتابات فيها تبادل مادة الدُر بمادة القمح (الحنطة) ، ولعلها إشارة الى استخدام طريقة المقايضة في التبادل بين بضائع معروفة ، وفي النص الاول تضمين من القرآن الكريم في قوله تعالى : ((فلما دخلوا عليه قالوا يأيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ٠٠٠)) (٢٣) ، اما عبارة ((والله المستعان)) ، فهي تضمين من القرآن الكريم في قوله تعالى : ((والله المستعان على ماتصفون)) (٢٤) .

(٧)

تحدث ابن المجاور (٢٥) عن شجر الكاذي ، وهو شجر يطلع في ناحية مسجد معاذ بن جبل يشبه النخل ، وهو ورد على هيئة الصَبرة التي تُزرع في العراق والهند ، لكن ورق الكاذي رقيق شبه خوص النخل ذات شوك خشن ، لم ينعقد ورقه إلا من برق البرق ، فإذا برق البرق طلع منه كثير بالمرة ، وان لم يكن البرق لم يكن منه شيء . وهذا شيء عجيب ، ويخلق مالاتعلمون .

ان وصف ابن المجاور لشجر الكاذي الذي ينبت ورقة ويكثر بسبب البرق ، يدلل على قدرة الله عزوجل ومشيئته ؛ لذا عدّ ذلك أمراً عجيباً ، فاستشهد بمفردة من آيات الله سبحانه وتعالى ، هي أنه يخلق مالايعرفه الانسان ، وقد ورد ذلك في قوله تعالى : ((والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالاتعلمون)) (٢٦) ، فضلاً عن آيات قرآنية عديدة تبين قدرة الله على الخلق ، فقد خلق الانسان والحيوان والنبات ، فضلاً عن ظواهر وشواهد كثيرة جداً في الحياة ، مثل خلق السموات والارض والبحار والامطار والعواصف والرياح والحرارة والبرودة والبرق والرعد ٠٠٠ وغيرها من المعجزات والدلائل التي تبين آلائه وقدرته سبحانه وتعالى .

(٨)

قال ابن المجاور (٢٧) : ((وخروج الانسان من البحر كخروجه من القبر والفرضة كالمحشر فيه المناقشة والمحاسبة والوزن والعدد ، فإن كان رابحاً طاب قلبه وإن كان خاسراً إغتم، فإن سافر في البر فهو من اهل ذات اليمين وإن رجع في البحر فهو من أهل ذات الشمال . فإذا كان هذا حال المخلوق

في عالم الكون والفساد مع مخلوق كذا فكيف حال المخلوق بين يدي الخالق غداً في هول العرض الأكبر اللهم لاتناقشنا ياكريم !)) .

في هذا النص وصف وتصوير دقيق لحال الانسان عندما يخرج من البحر هو أشبه بخروجه من القبر ، نظراً للخطورة والصعوبة التي يواجهها في البحر ، والفرضة أي دائرة إستيفاء الرسوم والمكوس على البضائع التجارية فيها المحاسبة على الوزن والعدد ، وهي محاسبة عسيرة فكيف حال الانسان يوم القيامة بعد موته ومثوله أمام الله سبحانه وتعالى يوم المحشر ، عندما يُحشر أي يُجمع الناس ويُحاسبوا ويُساقوا الى مصيرهم الأخير، إما الى الجنة والخلود في دار النعيم وإما الى جهنم خالدين فيها أبداً ، جزاءً وفاقاً على أعمالهم ، وهذا النص مستوحىً من القرآن الكريم فيما يخص الحشر يوم القيامة والمحاسبة ، وكذلك ألفاظ ومفردات ذات اليمين وذات الشمال ، فقد خصص الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز القرآن الكريم سورة خاصة ، هي سورة الحشر ،منها هذه الآية : ((هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم أن يخرجوا أو ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ۰۰۰)) (٢٨) ، كما وردت مفردات الحشر ، يحشرهم ، تحشرون ، ۰۰۰(٢٩) ، فضلاً عن ذكر ذات اليمين وذات الشمال في القرآن الكريم (٣٠) ، وفي هذه الآيات القرآنية الكريمة فوائد عظيمة لاتحصى من العبر والدروس والمواعظ ، فضلاً عن تقويم مسيرة الإنسان في الحياة الدنيا ، من خلال التمييز بين الصالحين والطالحين ، وبين أصحاب القيم والمثل والمبادىء الملتزمين بقواعد وأسس دينهم الحنيف ، وبين أولئك الذين غرتهم الحياة الدنيا فابتعدوا عن الطريق القويم وسلكوا طريق الإثم والضلالة وأغواهم الشيطان ، فخسروا دورهم الإنساني في الدنيا ولم يوظفوا عقلهم في طريق الخير والعمل الصالح ؛للنجاة من الكبائر .

(٩)

أشار ابن المجاور (٣١) الى تطور مدينة عدن واتساعها وانتشار العمارة والبناء فيها في عصر سلاطين بني أيوب ونوابهم عليها ، فقال : ((وكثر الخلق بها فبنوا الدور والأملاك وتوطن بها جماعة عرب من كل فج عميق)).

في النص اشارة وتضمين من القرآن الكريم حول تطور مدينة مكة وكيف ان الناس كانت تقصدها من كل أرجاء المعمورة؛ لأداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام وممارسة التجارة فيها، وفي نص ابن المجاور هذا تضمين من القرآن الكريم وتشبيه عدن بمكة في توافد الناس عليها للعمل في التجارة وفي البناء وماصاحَبَ ذلك من توسع المدينة وانتشار العمارة والبناء فيها ، قال تعالى : ((وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق)) (٣٢) ، أي ان الناس أتوا الى مكة لأداء فريضة الحج وكذلك العمرة ، من أماكن متباينة بعيدة وقريبة عن مكة ، فضلاً عن التجار العاملين في موسم الحج وخلال أيام السنة باستمرار ، نظراً لموقعها التجاري ونشاطها في هذا المجال .

(١٠)

انفرد ابن المجاور (٣٣) بذكر العمل بجواز السفر بالنسبة الى المسافرين المغادرين ميناء عدن ، فضلاً عن الكفيل الضامن للمسافر ، إذ يقول : ((ولو أراد بعض الناس الخروج لوداع مسافر من الباب لما قُدِرَ إن لم يكن معه خط جواز وضامن يضمنه بما يظهر عليه بعد وقت من مال أو عشور ويُكتب في الرقعة علامة الوالي ويخرج بعد ذلك . وان لم يكن له ضامن وإلا أخذ منادي [منادٍ] ينادي عليه في الأسواق : ان فلان بن فلان خارج من الباب فكل من له عليه شيىء يطالبه ! فإن ظهر عليه شيىء كفى الله المؤمنين القتال وإن لم يظهر عليه شيىء خرج الى أي موضع شاء ، كما قيل في المثل : المفلس في أمان الله)) .

النص واضح جداً وصريح بخصوص استخدام جواز السفر والعمل به في مدينة عدن وميناءها ، بالنسبة للمسافر الخارج من باب البر أو باب البحر فضلاً عن الكفيل الضامن ، وبخصوص استخدام الكفيل الضامن للمسافر اذا ظهر عليه شيىء بعد سفره من ديون أو رسوم ٠٠٠فالكفيل هو الذي يتكفل تسديد ماعلى المسافر ، أما بالنسبة الى الغرباء المسافرين ممن ليس لديهم كفيل يعرفهم ، فالطريقة هي المناداة بسفر فلان بن فلان في الاسواق فكل من له عليه شيىء يطالبه به قبل سفره ، وقد يؤدي ذلك الى منعه من السفرإلا بعد أداء مابذمته من حقوق ، لذا استشهد ابن المجاور بقوله تعالى : كفى الله المؤمنين القتال ، اي عدم الوقوع في مشكلات جراء سفره دون محاسبة وتدقيق ، أما من لم يظهر عليه شيىء فبإمكانه السفر الى أي مكان يشاء ، كما قيل في المثل : المفلس في أمان الله ، وقد وردت صيغة التضمين من القرآن الكريم في قوله تعالى : ((ورَدَّ الله الذين كفروا بغيضهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)) (٣٤) .

(١١)

وصف ابن المجاور (٣٥) أوضاع عدن أواخر العصر الأيوبي في اليمن وبداية عصر بني رسول بالفوضى والاضطراب ، وروى ان عدن تخرب سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٩م ، مستدلاً على ذلك بدخول أول أمراء بني رسول اليها وحكمها ، وهو نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي أشاع الرعب والخوف بين سكانها ، فضلاً عن سيطرته على مقدراتهم الاقتصادية وتحكمه بحياتهم ومعيشتهم ؛ بسبب احتكار بعض المواد التجارية وبيعها بأسعار عالية ، اذ يقول : ((وكانت الايام شبه أيام المحشر كل منهم ينادي أين المفر؟)) .

في نص ابن المجاور تشبيه بيوم المحشر ومايصاحبه من خوف ورُعب وهَول ، في ذلك المشهد الذي يقف فيه الانسان بين يدي الخالق العظيم ويجري تقويمه من خلال أعماله فتوزن حسناته مقابل سيئاته ، وماورد في هذا النص هو تضمين من آيات القرآن الكريم ، منها قوله عز وجل : ((يقول الانسان يومئذٍ اين المفر* كلا لاوزر * الى ربك يومئذٍ المستقر)) . (٣٦)

(١٢)

تحدث ابن المجاور (٣٧) عن مسجد الجَنَد وفضائله ، ومنها زيارة الناس له سنوياً في أول جمعة من شهر رجب ، وروى ان صفي الدين حاتم بن علي بن محمد بن المعلم ، أخذ أبرة مسمومة وغرز فيها خيطاً مسموماً ، وصار يغرز الابرة في جوانب البطيخة ويجرها والخيط معاً ، وجاء بها الى السلطان سيف الاسلام طغتكين بن أيوب وهو قائم على بناية المنصورة فجلا سكيناً فوق البطيخة ليأكل منها ، فتناول منه سيف الاسلام البطيخة فقطع وأكل وشعر بالشر ، فقال لعلي بن حاتم : ((الله المستعان على ماتصفون)) (٣٨) ، فقال له : كل يامولاي ماهو إلا خير ، وغاب الشيخ حاتم بن علي بن محمد بن المعلم من ساعته ، فأوجعه فؤاده ومات .

روى ابن المجاور عن عبد الله بن محمد ، قال انه كان يقرأ في النزع (اللحظات الأخيرة قبل موته) : ((ماأغنى عني ماليه* هلك عني سلطانيه * خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه)) (٣٩) الى تمام الآية .

وروى ابن المجاور (٤٠) عن رجل من آل الصليحي قال : انه قرأ : ((الذي جمع مالاً وعدده * يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذن في الحُطمة * ومأأدراك ماالحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليها موصدة * في عمد ممددة)) (٤١) ، وصار يكررها الى ان مات ، وبقيت البناية على حالها الى وفاة الملك المعز اسماعيل بن طغتكين بن أيوب .

في رواية وفاة السلطان طغتكين بن أيوب ، ضمنَّ ابن المجاور عدداً من آيات القرآن الكريم في ثلاث سور ، بهدف العبرة والموعظة ، وكيف أن هؤلاء السلاطين أصحاب القوة والثروة يلقوا مصيرهم المحتوم وهو الموت ، وبذلك لاينفعهم مالهم الذي جمعوه بشتى الطرق والوسائل غير الشرعية ، بل

سوف يخلدهم في النار ، فيندموا على ماجمعوا من تلك الأموال التي حرموا الناس منها وظلموهم شر الظلم ، بمصادرة حقوقهم وحرمانهم من أبسط مستلزمات العيش والحياة .

(١٣)

تحدث ابن المجاور (٤٢) عن صفة صنعاء وشهرتها بالفواكه والثمار المتنوعة ، وأضاف أن اهلها أي سكانها فيهم خليط من نسل العجم خرجوا من الحبوس والقيود في دولة يزدجرد بن شهريار بن بهرام ، ويقال كسرى بن قباذ مع سيف بن ذي يزن لتحرير اليمن من الأحباش ، ثم قال : ((وحكايتهم مشهورة مذكورة في كتاب مسطور)).

وهذا النص فيه تضمين من القرآن الكريم في قوله عزوجل : ((وكتاب مسطور* في رق منشور))(٤٣) .أي أن تاريخهم مشهور مدون في كتاب مسطور،أي في روايات منتظمة موثقة في صدور الناس وذاكرتهم ، ثم في المؤلفات المدونة على لسان الرواة وأهل الأخبار ، لتوضيح الصراع بين الفرس والأحباش من أجل السيطرة على بلاد اليمن ؛ للإفادة من موقعها التجاري على طرق المواصلات العالمية والتحكم بمقدراتها .

(١٤)

روى ابن المجاور (٤٤) حديثاً عن منصور بن محمد الواسطي حول ظهور قضبان تسمى : شوحط في أعمال تعز وصنعاء ، اذا أُشعل رأس القضيب اشتعل شبه الشمع وهي تستخدم عوضاً عن السراج والفُتَل ، وأضاف أن هؤلاء القوم مأكولهم الحنطة والحلبة واللحم صيفاً وشتاءً، وسفرهم الى عدن وشراؤهم العُطب والعطر والهندوان ، وغاية اشتغال القوم في معرفة الجواهر وعلم الكيمياء وعلم النجوم والنحو والمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة وحساب الضرب والجُمَل ، وأضاف قائلاً : ((وقوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب)) . وبناؤهم بالحجر القديم .

في النص تضمين من القرآن الكريم في وصف النبي داوُد(ع) في قوله تعالى : ((وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب)) (٤٥) ، وفي الاستشهاد أن هؤلاء القوم كان لهم اهتمام كبير بالعلم والعمل من خلال إشتغالهم بالعلوم المتنوعة المذكورة أعلاه ، فوصفهم ابن المجاور بأنهم قوم يدعون الحكمة وفصل الخطاب ، أي لهم عقول تعمل بهدف الاطلاع على أسرار العلوم والافادة منها وتسخيرها لخدمة البشرية .

ووصف ابن المجاور (٤٦) سكان مدينة صعدة ، بأنهم قوم أخيار يَدَّعون الحكمة ومعرفة الجواهر والعلوم العُلوية ، وهم على مذهب الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) ، وهم أصل القوم ومقدميهم في المذهب الزيدي ، ونستنتج من النص أن هؤلاء القوم سخروا عقولهم في العلم والمعرفة ، بسبب مؤهلاتهم العقلية التي وظفوها في دراسة علوم الطبيعة لخدمة الانسانية .

(١٥)

تحدث ابن المجاور (٤٧) عن مساكن شداد وعاد والتبابعة الجبابرة ، ووصف بناؤهم بالحجر والرخام والرصاص ، وبعضها حُفرت في الجبال أي نُقرت (نُحتت) ، فلما كفروا بنعمة الله عزوجل خُسِفَ بهم وتفرق شملهم وتشتتوا في الأقاصي ، فأصبحت الدور قبور ، والمساكنُ مساكنَ فارتدمت بعضها على بعض ، وقُلعت النخيل والأشجار ، وطلع بدلاً منها العُشر والأراك (الشوك) ، وسكنت البدو في بيوت الشعر ، وصارت الإبل ترعى بين عامر الخراب وتشرب ظباؤها من الندا والسراب ((لبئس الشراب وساءت مرتفقا)) .

تضمن النص الأخير لإبن المجاور تضميناً من القرآن الكريم في وصف حال الكافرين الظالمين ، وكيف ان الله سبحانه وتعالى يعذبهم عذاباً أليماً كما جاء في قوله تعالى : ((وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفرإنا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سَرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا)) (٤٨) ، وفي هذه الآية الكريمة وصف واضح جداً لمصير

الكافرين الظالمين وقد شَبَّهَ ابن المجاور قوم شداد وعاد والتبابعة بهؤلاء الذين وصفهم القرآن الكريم في حالهم المأساوي بعد موتهم ، جزاءً وفاقاً على كفرهم وظلمهم وكيف انتقم الله منهم من خلال هذا الوصف الواضح في القرآن الكريم وفي نص ابن المجاور أيضاً .

(١٦)

روى ابن المجاور (٤٩) عن محدثه هشام بن مسعود النجراني في دار الإمارة ، ان هنالك طريق قديم يسمَّى: طريق الرضراض يصل الى الكوفة مما يلي ظَهرِاليمن ، ويقال انه يصل الى البصرة ، وكان أهل اليمن يسافرون فيه على الحمير وعليهم الأديم الى إحدى هاتين المدينتين (البصرة والكوفة)، مرتين في العام ، ولما سأل ابن المجاور محدثه على أي الأماكن كان مسلكهم ، قال : ((على اليمامة والحساء [الإحساء] والبصرة ، قلت : ومتى كان عهدكم بعمرانه؟ قال : سنة عشرين وخمسمائة [٥٢٠هـ / ١١٢٦م])) . وقال : [بسيط]

لما رايت سُلوي غيــر متجهٍ وأنَّ غَرْب شِفاري عادَ مفلولاً
دخلتُ بالرغم مني تحت طاعتكم ((ليقضي الله امراً كان مفعولاً))

في عجز البيت الثاني اقتباس من القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ((ليقضي الله امراً كان مفعولاً))(٥٠) ويبدو أن ابن المجاور استشهد بهذين البيتين من الشعر إما نقلاً عن محدثه النجراني ، او أنه – كعادته – يستشهد بالشعر دون مقدمات أو تسمية الشاعر في أغلب الأحيان ، ويسبق ذلك فجأة بكلمة : قال ،ثمَّ يذكر بحر الشعر ، كما ذكره هنا وهو:البسيط ، وهكذا يتضح لنا أن ابن المجاور كان حريصاً كل الحرص على إيراد العبارات والمفردات من القرآن الكريم ،لكي يضمنها قصصه وحكاياته ورواياته ، وهذه المرة الوحيدة التي يستشهد ببيت شعر فيه اقتباس من القرآن العظيم .

(١٧)

ذكر ابن المجاور (٥١) أن الكرم من خصائص العرب ، ويقال أن أول من أطعم الكِسرة (كِسرة الخبزة) ، هو ابراهيم الخليل (ع) فهي سُنته ، وروى أن أصحاب الأعراف هم ثلاثة : ابو طالب لتربيته رسول الله (ص)، وأنو شروان لعدله ، وحاتم الطائي لكرمه .

تضمنت رواية ابن المجاور هذه إشارة من القرآن الكريم حول أصحاب الأعراف الذين وصفهم الله عزوجل وقال عنهم : ((وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجالٌ يُعرفون كلاً بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون * وإذا صرفت أبصارهم تلقاء اصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين * ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا مأأغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون))(٥٢).

تتضح لنا مكانة أهل الكرم ومنزلتهم الفائقة مما ذكره ابن المجاور ، وكان رائدهم الاول سيدنا إبراهيم الخليل (ع)، فهو أول من اطعم كسرة الخبز ، وأصبحت سنته أي طريقته وشهرته في زمانه ، فضلاً عن بيان مكانة أهل الأعراف الوارد ذكرهم في القرآن الكريم ، ولعل لمآثر هؤلاء وحسن صنيعهم بسبب شهرتهم بالكرم ،فضلاً عن تربية أبي طالب للرسول الكريم محمد (ص) أثره في تخليد ذكراهم ، فالكريم قريب من الله تعالى قريب من الجنة قريب من الناس .

(١٨)

روى ابن المجاور (٥٣) ان دعبل بن علي الخزاعي هجا المطلب بن عبد الله الخزاعي بشعر ، فلقيه المطلب في طريق فقال له : سِرْ معي الى منزلي ! فذهب معه ، فلما دخل دعبل قال المطلب : والله لأقتلنك شر قتلةٍ ، فقال له دعبل : لاتقتلني وانا جائع أشبعني وافعل ماشئت ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، فقال له المطلب : ماأحسن ماطلبت النجاة ! إن اطعمتك وجبت الحرمة ، وإن لم اطعمك بخلتُ أي بخل ، فقال دعبل : والله لاذكرتك بعدها بسوء أبداً ،فأطلقه واحسن جائزته .

يتضح لنا من هذه القصة الطريفة كيف ان الشاعر دعبل الخزاعي أحسن التصرف بكسب عدوه وتهدأته من روعه وغضبه ، باسلوب جميل ، وورد في القصة إقتباس من القرآن الكريم في قصة النبي إبراهيم (ع) مع إبنه إسماعيل (ع) ، وكيف انه رأى في المنام أنه يذبحه ، فاستجاب اسماعيل لطلب والده ابراهيم طاعة له ، لكن الله فداه بكبش عظيم ، كما في قوله تعالى : ((فبشرناه بغلام حليم *فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظرماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إنشاءالله من الصابرين)) (٥٤) ، ولعل ماورد من قول دعبل الخزاعي مع غريمه المطلب الخزاعي كان سبباً في العفو عنه ، إذ طلب دعبل من المطلب أن يشبعه لأنه جائع ثم يقتله ، وهذاغير ممكن أن يطعم العربي ضيفه ثمَّ يقتله، لأنَّ ذلك ليس من شيم العرب وذمامهم ،فمن يطعم ضيفه يحرم عليه قتله ، وإن لم يطعمه يوصف بالبخل والعرب تأبى أن توصف بهذه الصفة الذميمة ؛ لذلك أطلق دعبل وأكرمه ، وفي هذه القصة كثيرٌ من العبر والدروس والمواعظ التي تؤكد عدم غدر العرب وعدم إقدامهم على قتل عدوهم إذا كان في بيتهم وفي ضيافتهم ؛لأنَّ الكرم يوجب الحُرمة، ومنها حرمة القتل .

(١٩)

روى ابن المجاور (٥٥) أن سقاءً نزل بئراً في طريق مكة يبرح منه الماء في الدِلاء لقلّته ، فرحل الحاج على غفلة وبقي السقاء في مكانه ثلاثة أيام بلياليها ، وبعد انتهاء هذه الأيام قدم رجل من وجوه العرب فأدلى دلوه ، فنظر الأعرابي السقاء في قرار البئر فاستقى وسقى حصانه وشرب واستخرج السقاء من البئر وأردفه وراءه وسار به غير بعيد ، الى أن وصل خبت قفر ليس به مما خلق الله عزوجل من المخلوقات .

في رواية ابن المجاور هذه تضمين من القرآن الكريم في عبارة: وأدلى دلوه ، أي أنزل الدلو في البئر ، كما تأتي بمعنى أبدى أو عرض وجهة نظره ، كما ورد في قوله تعالى : ((وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يابشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون))(٥٦) .

وهذا النص منقول عن سورة النبي يوسف (ع) وقصته المشهورة مع اخوته ، وماتحمله من العبر والدروس البليغة التي تبين قدرة الله عزوجل وإرادته في حماية أنبيائه ورسله الى بني آدم .

(٢٠)

وصف ابن المجاور (٥٧) الجراد النجدي بأنه لايأكل الحشائش ويشم أطيب الأهوية ويشرب أطيب المياه ويتربى في أطيب الأمكنة ، ويرجع دواء لكل داء ، وروى أنه يظهر في نجد من أعمال تسمى : الدهناء ، والموضع هو مشرق البحر ، وقيل بل هو يخرج من البحر بإذن الله تعالى عز وجل ، قال ابن المجاور : ((وهو قريب من المن والسلوى ينزل على شجر الزيتون بجبال الروم وغيرها . والسلوى هو طيريجيىء الى دمياط على وجه الأرض)) . وشَبَّهَ ابن المجاور طير السلوى بالجراد النجدي من حيث أوصافه التي ذكرها أولاً فهو طيب في الأكل والرائحة .

تضمن نص ابن المجاور استشهاداً من القرآن الكريم في قصة النبي موسى (ع) مع بني اسرائيل ، قال تعالى : ((وظلّلنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المنَّ والسلوى كلوا من طيباتِ مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون))(٥٨).

وفي حديث ابن المجاور (٥٩) عن جزيرة فَرَسان ، حدد موقعها بين جزيرة وهلك وحلى ابن يعقوب في البحر الأحمر، وأشار الى نِعم الله سبحانه وتعالى التي خص بها أهل الجزيرة ، فبعد طلوع الشمس يدوي الجو بطيور كثيرة تصطف على شاطىء البحر ، وتنزل على السكان بعد ساعة طيور تشبه الخُرُق ، ويقال تشبه السُمان ، يبلغ عددها زهاء مائة ألف طير ! وعند نزولها على شاطىء البحر لاتستطيع الطيران فتأخذ الناس كفايتها منها في الذبح والطبخ ، ويتصف هذا الطير بغزارة لحمه وشحمه ولايمل الناس منه ، بسبب لحمه الخفيف الطيب المريء ، وقد سأل ابن المجاور عنه بقوله : ومايسمى ؟ - والحديث الى بدر مولى بشر الصوفي - ، قال : السلوى ، وهو الذي قال الله عزوجل فيه :((وأنزلنا

عليهم المنَّ والسلوى))(٦٠)،فقلت للراوي:كم يكون دَور الجزيرة ؟ قال:مسيرة يوم كامل لرجل طرّاد ، أي رجل فارس يمتطي جواداً ، وفي حديث ابن المجاور اقتباس من القرآن الكريم تمَّ تخريجه وتوثيقه ، يتعلَّق بقصَّة النبي موسى (ع) مع بني إسرائيل .

(٢١)

تحدث ابن المجاور (٦١) عن الأسماء التي يسمي الناس بها أبناءَهم ، مقترنة بصفات وآلاء الله سبحانه وتعالى ، لكن بصيغة المبالغة ، ففي رواية أنَّ رجلاً من الحاكة رُزق ولداً ، فقيل له اختر له كنية ، فقال : كنوه عبد رب السموات السبع ورب العرش العظيم (٦٢) فقال له الرجل : ابن من ؟ قال : ابن عبد الكريم [الله] الذي يُمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه (٦٣) ، فقال: مرحباً يانصف القرآن .

وأعجب من ذلك أن رجلاً من العجم مسكنه أذربيجان سمى ابنه عَبدُ من الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (٦٤) . وهكذا يتضح لنا أن هذه الأسماء الطويلة إنما أطلقت على خلق الله من عباده ، فهم عبيده لأنه خالقهم ، ومع ذلك فهي أسماء طويلة فيها مبالغة واضحة جداً ، بقصد التقرب الى الله سبحانه و تعالى ، فقد ذكر ابن المجاور حديثاً عن منصور بن المقرب بن علي الدمشقي ، حول أذربيجان أن أصل أهلها عبيد وموالي ؛ لذلك فيهم حماقة وكِبْر خارج ، ونفوسهم شحيحة وهمتهم قليلة ، وماذكره ابن المجاور في روايتيه عن كنية المولود واسم الوَلد في أذربيجان،المقترنين بكنى وأسماء الله عزَّ وجلّ،هما مقتبسان من القرآن الكريم في الآيتين اللتين تمَّ تخريجهما.

(٢٢)

روى ابن المجاور(٦٥) أن أول من سكن الساحل في قلهات الصيادون ، وهم قوم ضعفاء يترزقون الله ، ثم تكاثر القوم واستأنسوا ، وسكن من جملة الصيادين شيخ من مشايخ العرب اسمه : مالك بن فهم ، كان له دور كبير في تطور مدينة قلهات ونشاطها التجاري ، فقد أدار عليها سوراً من الحجر والجص ودخلتها المراكب من كل فج وخور وسائر الجهات ،وبمرور الزمن أصبحت المدينة ذات مكانة وهَيبة عظيمة .

في رواية ابن المجاور استشهاد وتضمين من القرآن الكريم في كلمة : فج التي وردت في الكتاب العزيزوكلمة فجاجاً ، بمعنى المسالك والطرق التي توصل بين الأماكن (٦٦) . وجاءت في وصف مكة التي قصدها الناس من كلِّ فجٍّ عميق- كماذكرنا.

(٢٣)

وصف ابن المجاور (٦٧) الطريق من المنصورة الى عدن ، راجعاً من المنصورة الى ريسوت ، وذكر خروج الإمام علي بن أبي طالب (ع) لمواجهة الخوارج بالنهرين، فكسرّهم وَركّب عليهم السيف ، ومازال يقتل فيهم الى أن أفنى الجميع، وَرَدَّ البغلة الى القنطرة فوقعت البغلة على نصف القنطرة .

قال علي بن أبي طالب (ع):أنظروا مَنْ تحت القنطرة! فإذا هم بـ : أبي الثديين ، فقال له أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) :جاء الحق وزهق الباطل أسلِم تسلم ، فقال : كيف أُسلِم والبغلة تعلم علم الغيب أني تحت القنطرة ؟ فحينئذٍ جَرَّد علي بن أبي طالب (ع) السيف وضرب عنقه وهرب من سلم من القوم .

في هذه القصة إقتباس من القرآن الكريم في قول الإمام علي بن أبي طالب (ع):((جاء الحق وزهق الباطل)) ، ويقصد بالحق هنا الإيمان والإسلام والتوحيد ، والباطل هو الكفر والشِرك والظلال ، كما في قوله تعالى : ((وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطلَ كان زهوقا)) (٦٨) .

ومعنى ذلك أنَّ الإسلام والإيمان هما المنتصران على الكفر والشرك ، وهو انتصار الحق على الباطل .

(٢٤)

ذكر ابن المجاور (٦٩) مافعل ملك جزيرة قيس (كيش) في البحر العربي ومافعل صاحب مكران ، فقد أرسل الملك تاج الدين أبو المكارم بن الحسن وابن الحسين كهرو ، بمال جزيل فاشتريا له من مسقط حصاناً قيمته ألف مثقال ، ورُكب (نُقل) الحصان في مركب إجتاز به من بر العرب الى بر العجم ، فعلم بخبر الحصان ملك قيس فأرسل عدة مراكب (دوانيج وبومات) قطعوا عليه طريق البحر وصادروا الحصان .

ولما سمع تاج الدين أبو المكارم قصة الحصان أخذ مراكب السُرّاق ومَيّلها على منادخ القيسي ، وقال لهم : ((كل مركب ترونه لصاحب قيس خذوه أخذ عزيز مقتدر!)) ، فأخذوا من ذلك الموسم إثني عشر مركباً موسوقاً من مختلف الأمتعة والطُرُف والتحف والأموال ، وهذا يعني أن صاحب مكران ألحقَ الضرر بصاحب جزيرة قيس وطالب بمصادرة أي مركب له وأخذه أخذ عزيز مقتدر تضميناً من القرآن الكريم في قوله عزوجل : ((ولقد جاء آل فرعون النذر* كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)) . (٧٠)

كان من نتائج مصادرة ملك جزيرة قيس الحصان الذي اشتراه صاحب مكران ، أن الأخير استطاع مصادرة إثني عشر مركباً لصاحب جزيرة قيس وماتحمل من البضائع الغالية ، مما إضطر الأخير أن يرسل الى صاحب مكران تاج الدين رسولاً يقول له : ((قل الحمد لله على نعمه والله المستعان على أهل هذا الزمان ، كيف رجع الملوك سُرّاقاً يقطعون طرق البحر على سُلاكه؟)) ، فقال تاج الدين للرسول : ((والله ماعلمني قطع الطريق إلا ملككم)) . ونجد في كلام رسول ملك جزيرة كيش تضميناً من القرآن الكريم في عبارة : والله المستعان ، إذ وردت في الكتاب العزيز في قوله تعالى : ((والله المستعان على ماتصفون)) (٧١) ، وقوله تعالى : ((قال رب أحكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون)) (٧٢) .

لقد تضمنت هذه القصة نَصيَن من القرآن الكريم ضمَّنهما ابن المجاور في أسلوبه النثري الخاص ، وربما نقلهما من حكاية الرواة نقلاً عن تاج الدين أبو المكارم صاحب مكران ، ثم نقلاً عن صاحب جزيرة قيس الذي بعث برسالة الى صاحب مكران حملها رسوله إليه .

هوامش وتعليقات البحث :

١- أبو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن أحمد البغدادي النيسابوري . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، القسم ١-٢ ، اعتنى بتصحيحها وضبطها : أو سكرلوفغرين ، مطبعة بريل ، (ليدن ، ١٩٥١، ١٩٥٤م) ، ص ١ .

وصدرت طبعة ثانية هي صورة طبق الأصل للطبعة الأولى ، ليس فيها تغيير باستثناء غلاف الكتاب فقط ! منشورات المدينة ، توزيع شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، (بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) .

٢- ق : ٦ .

٣- الرحمن : ٧ ، راجع أيضاً : الغاشية : ١٨ .

٤- الحجر : ١٦ .

٥- الذاريات : ٢٠، راجع أيضاً : الشعراء : ٢٤، الدخان : ٧ .

٦- الأنعام : ١٠٣-١٠٤ .

٧- العنكبوت : ٣٨ .

٨- الأعراف : ٢٠٣ ، الاسراء : ١٠٢، القصص : ٤٣، الجاثية : ٢٠ .

٩- تاريخ المستبصر ص ٢-٣ .

١٠- الحج : ٢٧ ، راجع الإحالات:٣١-٣٢ ،٦٥-٦٦ وهوامشها .

١١- تاريخ المستبصر ص ١٨-٢٠ .

١٢- يوسف : ٧٧ .

١٣- الرعد : ١٠ .
١٤- المائدة : ٥٢ ، يونس : ٥٤، يوسف : ١٩ ، طه : ٦٢، الأنبياء : ٣ ، سبأ : ٣٣ ، التحريم : ٣ ، نوح : ٩ .
١٥- تاريخ المستبصر ص ٢٦ .
١٦- المائدة : ٩٥ .
١٧- ((...فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)) . البقرة : ٢٧٥ ، ((ولاتنكحوا إلا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً)) .النساء : ٢٢ .
١٨- تاريخ المستبصر ص ٢٨- ٣٠ .
١٩- المصدر نفسه ص ٣١ .
٢٠- الزخرف : ٣٢ .
٢١- قال تعالى : ((تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات)) . البقرة :٢٥٣، وقوله : ((وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات)) . الأنعام : ١٦٥ ، وقال : ((نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم)) . يوسف : ٧٦، وقال : ((يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)) . المجادلة : ١١ .
٢٢- تاريخ المستبصر ص ٥٥ ، راجع : إبراهيم . مأثور الكلام العربي في كتاب صفة بلاد اليمن ص ٢٤٤ .
٢٣- يوسف : ٨٨ . راجع أيضاً : النحل : ٥٣، الاسراء : ٦٧، الأنبياء : ٨٣ .
٢٤- يوسف : ١٨. راجع : إبراهيم . مأثور الكلام العربي ص٢٤٤.
٢٥- تاريخ المستبصر ص ٨١ .
٢٦- النحل : ٨ .
٢٧- تاريخ المستبصر ص ١٢٨-١٣٠ . (وعلى ص ١٢٩خارطة قديمة لطبوغرافية مدينة عدن) ، راجع أيضاً : إبراهيم . مأثور الكلام العربي ص ٢٣٩ .
٢٨- الحشر : ٢ ، راجع أيضاً سورة القيامة:١-١٦ .
٢٩- عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٢٦٠-٢٦١ .
٣٠- الكهف : ١٧ – ١٨ ، راجع عن : اصحاب اليمين واصحاب الشمال : الواقعة : ٨ ، ٢٧-٣٨، ٤١-٤٨ ، ٩٠-٩١ .
٣١- تاريخ المستبصر ص ١٣٠ . راجع : المصدر نفسه ص ٢٠٤ حول مدينة صعدة ، إذ يقول :((فلمَّا تمَّ على أهل صعدة ماتم تراجعت الخلق من كلِّ فجٍّ فعمَّر كلّ منزله ومسكنه وسكن فيه)).
٣٢- الحج : ٢٧ .
٣٣- تاريخ المستبصر ص ١٤٦ .
٣٤- الأحزاب : ٢٥ . راجع عن القتال ومفرداتها : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٦٨٠ .
٣٥- تاريخ المستبصر ص ١٤٧ .
٣٦- القيامة : ١٠-١٢ ، راجع : سورة الحشر : ٢ ، راجع عن الحشر ومفرداتها : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٢٦٠- ٢٦١ .
٣٧- تاريخ المستبصر ص ١٦٦ .
٣٨- يوسف :١٨ ، ((والله المستعان على ما تصفون)) . راجع إحالة رقم (٢٤) وهامشها .
٣٩- الحاقة : ٢٨-٣٢ .
٤٠- تاريخ المستبصر ص ١٦٦-١٦٧ .
٤١- الهُمَزة : ٢ – ٩ .
٤٢- تاريخ المستبصر ص ١٨٥-١٨٦ .
٤٣- الطور : ٢-٣ .
٤٤- تاريخ المستبصر ص ١٩٢ .
٤٥- ص : ٢٠ ، راجع عن الحكمة في القرآن الكريم : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٢٧١ .
٤٦- تاريخ المستبصر ص ٢٠٦ .
٤٧- المصدر نفسه ص ٢٠٠-٢٠١ .
٤٨- الكهف : ٢٩ ، راجع عن مفردات : ساء وساءت : عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٤٦٧، وعن : الشراب ص ٤٧٩ .
٤٩- تاريخ المستبصر ص ٢١٧ ، راجع أيضاً : ابراهيم . رحلة مع أشعار الغربة والحنين الى الأوطان ص ٤٣ .

٥٠- الأنفال :٤٢،٤٤ . راجع ايضاً : النساء :٤٧، الإسراء : ٥ ، ١٠٨، المزمل:١٨، عبد الباقي : المعجم المفهرس ص ٦٦٦.
٥١- تاريخ المستبصر ص ٢٢١.
٥٢- الأعراف:٤٦-٤٨، راجع : إبراهيم . مأثور الكلام العربي ص٢٤١ .
٥٣- تاريخ المستبصر ص ٢٢٤-٢٢٥، راجع بحثنا : مأثور الكلام العربي ص ٢٤٢ .
٥٤- الصافات : ١٠١ ــ ١٠٢.
٥٥- تاريخ المستبصر ص ٢٢٥ .
٥٦- يوسف : ١٩ .
٥٧- تاريخ المستبصر ص ٢٢٧-٢٢٨ ،راجع : إبراهيم. أشعار الحكم والمواعظ ص٨٠ .
٥٨- البقرة : ٥٧، راجع أيضاً : الأعراف : ١٦٠ ، طه : ٨٠ ، عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٤٥٤ .
٥٩- تاريخ المستبصر ص ٢٤٤ .
٦٠- الأعراف :١٦٠، وتخريج الآية كاملة : ((وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)).
تاريخ المستبصر ص ٢٥٥ .
٦١- ((قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم)) . المؤمنون : ٨٦ .
٦٢- ((ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ان الله بالناس لرؤوف رحيم)) . الحج : ٦٥ .
٦٣- ((وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)) . الزمر : ٦٧ .
٦٤- تاريخ المستبصر ص ٢٧٢ ــ ٢٧٤ (بين الصفحتين ص٢٧٣مخطط مدينة قلهات) .
٦٥- راجع عن كلمة : فج ، سورة الحج : ٢٧ ، بخصوص كلمة فجاج ، قال تعالى : ((وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سُبُلاً لعلهم يهتدون)) الأنبياء : ٣١، وقال : ((واللهُ جعل لكم الأرض بساطا ، لتسلكوا منها سُبُلاً فجاجا)) . نوح : ١٩-٢٠ ، عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٦٥١ .
٦٦- تاريخ المستبصر ص ٢٧٥-٢٧٦ .
٦٧- الإسراء : ٨١، راجع : سبأ : ٣٤ ، عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ١٥٧ .
٦٨- تاريخ المستبصر ص ٢٩٨-٢٩٩ ،راجع أيضاً : إبراهيم . أشعار الحكم والمواعظ ص ٨٤-٨٥ .
٦٩- القمر : ٤١-٤٢ .
٧٠- يوسف : ١٨ .
٧١- الأنبياء : ١١٢ ، عبد الباقي . المعجم المفهرس ص ٩١٩ .

مصادر البحث ومراجعه :

١- القرآن الكريم .

*** ابراهيم .أ.د. محمد كريم (الشمري) .**

٢- أشعار الحِكَم والمواعظ والعبر والدروس في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري ، مجلة التواصل ، العدد :١٠ ، إصدار : نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، يوليو ٢٠٠٣م) .
٣- رحلة مع أشعار : الغربة والحنين الى الأوطان والتغني بالمنازل والديار والخلان (في كتاب : تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، مجلة التواصل ، العدد : ٨ ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر ، (عدن ، يوليو ٢٠٠٢م) .
٤- مأثور الكلام العربي في كتاب : صفة بلاد اليمن ... (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري المتوفى بعد عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م ، مجلة اليمن ، العدد : ٢٠ ، إصدار : مركز البحوث والدراسات اليمنية بجامعة عدن ، منشورات دار جامعة عدن للطباعة والنشر،(عدن ، شوال ١٤٢٥هـ / نوفمبر ٢٠٠٤م) .

*** ابن المجاور البغدادي النيسابوري ، ابو بكر بن محمد بن مسعود بن علي (المجاور) بن احمد ، (ت٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .**

٥- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ، المسماة : تاريخ المستبصر ، قسم ١-٢ ، اعتنى بتصحيحها وضبطها : أوسكر لوفغرين ، مطبعة بريل ، (ليدن :١٩٥١، ١٩٥٤م) .

*** عبد الباقي ، محمد فؤاد .**

٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف ، منشورات ذوي القربى ، الطبعة الثالثة ، مطبعة ظهور ، (قم ، ١٣٨٤ هـ) .